

MERS

MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN - WAHAR  
Date : 15-12-94  
Photo No. : 165

## "Où va la France, Monsieur?"

عند الالمان عبارة شعبية قديمة تستخدم لوصف شخص بلغ قمة السعادة. في مثل هذه الحالات، يقولون انه "سعيد كالله في فرنسا". بالطبع، كان لهذا التشبيه ما يبرره، وليس فقط من جانب الالمان. فرنسا، كما يقول الفرنسيون، بلد جميل، يجمع بين روعة الطبيعة وانجازات الحضارة، فضلا عن الاثراء المتنوعة لما سمي "الروح الفرنسية".

بالطبع، لم يكن يوما الشعب الفرنسي بأسره ينعم بطراوة العيش. الا ان ثراء التراث الشعبي كان دوما يجمل الصورة، حتى بالنسبة الى الذين لم يفتنعوا بمدى "سعادة الله في فرنسا"، وربما كان جوهر "الروح الفرنسية" هنا بالتحديد.

اليوم، لم يعد هناك مجال لتجميل الصورة، اذ تعيش فرنسا، ومنذ سنوات، حالة شبه مرضية من الاحباط، وهي الحالة التي اشتقت لتسميتها كلمة *sinistrose* (على وزن عدد من التعابير الطبية مثل "ارتروز" و"فروز" الخ...).

تقف وراء هذه الحالة بالتأكيد مفاعيل الازمة الاقتصادية المزمنة منذ مطلع السبعينات والتي عادت واستفحلت في التسعينات. وليس ادل على وطأة هذه الازمة وعلى حدة نتائجها الاجتماعية من نشرات الاخبار التي تبثها مختلف التلفزيونات الفرنسية والتي يخصص معظمها لعرض مشاكل البطالة والاسكان، لا سيما منذ تعاضم ظاهرة "البدون". و"البدون" في فرنسا ليسوا، كما في الكويت، اولئك الذين يفتقدون الجنسية، انما هم الذين يفتقدون المسكن، وقد صاروا يعرفون اختصارا بتعبير SDF (الاحرف الاولى لعبارة "دون محل اقامة ثابت"). هؤلاء يقطنون نهارا اروقة المترو والساحات العامة ويبيتون ليلا حيث يستطيعون، اي في الشارع في معظم الاحيان الى ان تتحرك الدولة عندما يشتد الصقيع فتجد لهم المأوى الموقته تجنبا لكوارث بشرية محتملة.

واهمية هذه الظاهرة انما لم تعد قابلة للاخفاء، كما يستطيع ان يلحظها الذي يزور باريس ولا يكتفي منها بأحيائها الراقية وجاليتها اللبنانية. وهي

في أي حال لا تمت بصلة إلى ظاهرة المستكفين انفولكلورية إلى حد بعيد. فالذين يفتقدون المأوى لم يخلوا عن الحياة العادية بارادتهم كما كان يفعل المتسكعون، وإنما اضطروا إلى ذلك لأنهم لم يجدوا عملاً أو لأنهم فقدوا عملهم منذ مدة ولم يعد يحق لهم قبض تعويضات البطالة المحدودة زمنياً. والأهم من ذلك أن المجتمع الفرنسي بدأ يعتاد على هذه الظاهرة فقامت مؤسسات مهمتها التخفيف من المعاناة من دون أن يكون في مقدورها طرح علاج جذري. هكذا، صار لمؤلاء "البدون" صحفهم التي يبيعونها في عربات المترو، وأصبح لهم ناد لكرة القدم، وكان افتقاد المسكن سمة دائمة لطبقة اجتماعية جديدة لا خروج منها.

لا تختصر هذه المعاناة البشرية حالة الاحباط التي يعيشها المجتمع الفرنسي. فبالإضافة إلى مفاعيل الازمة الاقتصادية، والتي تنعكس أيضاً على طبقات اجتماعية أكثر ثراءً، يأتي تلوث الحياة السياسية الذي أصاب اليسار واليمين على حد سواء ليسد الأفق وليبدد أوهام التغيير الجذري على رغم نوب موعد الانتخابات الرئاسية. ويزيد من انسداد الأفق أن تطور المؤسسات الفرنسية ومسار الحياة السياسية منذ عقدين عطلاً الطاقات التي كانت تستطيع إنتاج عقد اجتماعي جديد. وربما كان هذا في العمق ما يفسر عزوف جاك دولور عن ترشيح نفسه للرئاسة، وأن لم يكن رئيس الاتحاد الأوروبي بريئاً كلياً مما آلت إليه الحياة العامة في فرنسا في ظل مسيرة الاتحاد الأوروبي.

منذ أن أعلن دولور عزوفه عن قطف الرئاسة، كثرت التكهنات عن المرشح اليميني الأكثر حظاً، في غياب أي مرشح يساري آخر (بعد تمشيم ميشال دوكار على يد الرئيس الحالي فرنسوا ميتران). غير أن السؤال الأساسي لا يتعلق بالأشخاص. السؤال الجوهرى هو عينه الذي يمكن سماعه أحياناً في شوارع باريس على لسان شيخ جليل (ومحافظ في الاجمال) عندما يرى تصرفاً ينم في نظره عن انحطاط خطير: "Où va la France, Monsieur؟"، أي إلى أين تسير فرنسا، يا سيدي؟ والحق أن لا جواب فعلياً عن هذا السؤال عند أي من المرشحين.

سمير قصير